

## القصيدة البصرية العربية بين التعبير اللغوي و الإبداع التشكيلي

الباحث والفنان / شوقي عزت



### مقدمة

شهدت أوروبا لقرون طويلة نهضة مزدهرة مع مجيء العرب إلى بلاد أسبانيا ابتداءً من عام 711 ميلادية حيث كان الجزء الأكبر من أوروبا يذوب في ظلال الجهل و التخلف الإقتصادي و الإجتماعي. و مع ازدهار الحضارة العربية و الإسلامية انتشر تعليم الإسلام في مدن اسبانيا و أصبحت العقيدة الإسلامية ليست كعقيدة دينية فحسب و إنما كشريان حياة تدفقت منه الثقافة و الفنون و العلوم و الفلسفة استمر ازدهارها حتى بعد سقوط الأندلس عام 1439، كما كان لها أثراً ملموساً على عصر النهضة الأوروبية.

ازدهرت الحضارة العربية و الإسلامية في بقعة شاسعة من العالم، من بلاد المغرب و اسبانيا غرباً إلى بلاد فارس و إندونيسيا حتى الصين شرقاً.

كانت الأندلس في الغرب كمنارة للعلم و الفنون، و كانت بغداد في الشرق مدينة السلام و مركزاً مزدهراً للصناعة و الزراعة و التجارة و العلوم، كما كان لها امتداداً متألفاً امتد تأثيره إلى الشرق الأقصى حتى الهند و الصين و إندونيسيا، و إلى الشرق الأوسط حتى دمشق و القاهرة و سمرقند، و غيرها من مناطق متفرقة في جنوب أوروبا.

بالرغم من أن الحضارة العربية و الإسلامية امتدت في منطقة واسعة، و بالرغم من تأثيرها و تأثرها بفنون الشعوب التي مرت عليها إلا أن فنونها و عمارتها تميزت بالتوحد فتألفت شكلاً و مضموناً، و ما ليس شك فيهما أنها انبثقت من دعوة التأمل في خلق السموات و الأرض، مما اكتسبت سمة التأمل الروحي و التفكير العقلي اللذان تميزت بهما العقيدة الإسلامية، و على هذا نتج عنها سمات تشكيلية و هي التكرار و التماثل و الإنعكاس، و هي سمات استطاع الشاعر و الفنان أن يعبرا بهما عن محاكاتها مع الذات الإلهية و فلسفتها في الحياة حيث يعبر التكرار عن اللانهاية التي تتميز بها الذات الإلهية، و يعبر التماثل عن فكرة التخلق و الإنقسامات الطبيعية، و يعبر الإنعكاس عن فكرة التواصل الإلهي و الإنساني معاً،

و لقد تأثرت الحضارة الغربية بالحضارة العربية و الإسلامية تأثراً ملموساً، فبينما كانت تسير الحضارة العربية و الإسلامية مزدهرة في منطقة الأندلس، انتبه إليها أهل شمال أوروبا في رهبة، و طال بهم التحديق باحثين عن سر إعجوبة إزدهار الأندلس العربية، مما دفعهم ذلك لدراسة السحر، و استمر البحث حتى اكتشفوا أن كلمة ( إقرأ ) المدرجة بأول سورة في القرآن الكريم كانت هي الكلمة التي أنتت بالمعجزة اللغوية الكبرى إلى المسلمين، كما تيقنوا أن اللغة العربية ذاتها هي اللغة الساحرة التي أوحى للمسلمين بحضارتهم المتألقة، و ذلك لكون اللغة العربية لغة مقدسة انتقل بها القرآن الكريم من أعالي السماء إلى الماديات في الأرض، و لا شك أنهم

تيقنوا أن اللغة العربية ذاتها و ما يحتويه القرآن الكريم من آيات كانت سببا في ازدهار هذه الحضارة العربية و الإسلامية

و لقد اخترنا القصيدة البصرية العربية في بحثنا هذا كأحد فروع الفن العربي و الإسلامي حيث تتناص فيها اللغة العربية مع التشكيل الفني، و لقد اخترناها لكونها ذات أهمية في تنمية الثقافة و الفكر الإنساني و ذات أهمية لنهضة التذوق الفني قديما أو حديثا أو في المستقبل.

و كانت الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي:

أولا : توقف تطور إبداع القصيدة البصرية العربية تشكيلا إبان ازدهار الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس.

ثانيا: اقتصار إبداع القصيدة البصرية لغويا على الشاعر فقط.

ثالثا: صعوبة العثور على نماذج توثيقية كافية مما تسبب عنه صعوبة معرفة مدى أبعاد القيمة الجمالية للقصيدة البصرية العربية، و كذلك صعوبة معرفة معاييرها الفنية، مما أدى ذلك إلى غيابها كأعمال فنية في الحركة الفنية التشكيلية العربية المعاصرة.

و لقد أمكن لنا التغلب على هذه الصعوبات بالبحث في مجال القصيدتين العربية و الغربية، و مشاهدة العديد من القصائد البصرية العربية و القصائد البصرية الغربية، و استطعنا خلال تجربتنا التشكيلية (كفنان تشكيلي) أن نبحت في مكونات و عناصر القصيدة البصرية تشكيلا و لغويا و مزجنا ما حصلنا عليه من نتائج تشكيلية و لغوية بأن ندمجها مع فكرة التكرار و التماثل و الإنعكاس الذي يتميز بها الفن الإسلامي و مزجناها مع علاقات تشكيلية استوحيناها من الفن الكونكريتي الغربي التي هي في الأصل لا تبعد عن سمات التكرار و التماثل و الإنعكاس، و أعدنا صياغتها بأسلوب فني معاصر.

و لموضوع البحث أهمية عظمى تبدو من نواحي متعددة أبرزها التعريف بالقصيدة البصرية العربية و

القصيدة البصرية الغربية و معاييرهما الفنية و الجمالية.